(١٠٦)

(بَرْقُوق الملك الظاهر أبو سَعيد الجَرْكَسي)[١]

واسمه الطنبغا ولكنه سُمّي بذلك الاسم لنتوء في عينيه كأنهما البرقوق. كان مملوكاً لرجل يقال له الخواجة عثمان، ثم ملكه الأشرف شَعْبان، فلمَّا قتل ترقَّى إلى أن صار أمير أربعين، ثم ما زال يترقَّى حتى قبض على بعض الأمراء الكبار وتولّى التدبير للدولة مكانه. ثم حصل التنافس بينه وبين أمير يقال له بَرَكة ووقع بينهما حرب، وكان الغلب لبرقوق فقبض على بركة وسجنه، ثم ما زال يعمل في توليه للسلطنة استقلالاً. وخلع مخدومه الصالح حاجي إلى أن استقل في رمضان سنة (٧٨٤) فجلس على التخت، ولقب بالظاهر وبايعه الخليفة والقضاة والأمراء فمن دونهم. وخلعوا الصالح بن الأشرف وأدخلوه إلى دور أهله بالقلعة. فلما كان بعد ذلك بمدة خرج جماعة من الأمراء على برقوق فبرز إليهم فتسلل من معه وخذلوه. فتغيب حينئذٍ واختفى في دارٍ بقرب المدرسة الشيخونية ظاهر القاهرة. ثم إن الأمراء أعادوا الصالح إلى المملكة ولقب بالمنصور وصار يَلْبغا الناصري أتابكاً له. وأراد منطاش قتل بَرْقُوق فلم يوافقه الناصري، بل شيّعه إلى الكرك وسجنه بها. ثم بعد ذلك ثار منطاش على الناصري فحاربه إلى أن قبض عليه وسجنه بالإسكندرية، واستقل منطاش بالتدبير وكان أهوج فلم ينتظم له أمر. وانتقضت عليه الأطراف فجمع العساكر وخرج إلى جهة الشام فاتفق خروج برقوق من الكرك وانضمّ إليه جمع قليل، فالتقوا بمنطاش، فانكسر إلى جهة الشام فاستولى الظاهر بَرْقُوق على جميع الأثقال وفيهم الخليفة والقضاة وأتباعهم فساقهم إلى القاهرة، واستقرت قدمه في الملك، وأعاد الصالح بن الأشرف إلى مكانه الذي كان فيه، كل ذلك في أوائل سنة (٧٩٢). ثم جمع العساكر وتوجّه إلى الشام لمحاربة منطاش، فحصرها وهرع إليه الأمراء، وتعصّب الشاميون لمنطاش، فما أفاد بل انهزم منطاش بعد أن دامت الحرب بينهما مدة. وثبت برقوق في الملك إلى أن (مات) سنة ٨٠١ إحدى وثمانمائة. وعهد بالسلطنة لولده فرج وله يومئذٍ تسع سنين، واستحلف القاضي الشافعي، فحلف له، وكذلك الخليفة وجميع الأمراء. وكانت مدة استقلال بَرْقُوق بالمملكة من غير مشارك تسع عشرة سنة. ومن آثاره المدرسة التي عمرها بين القصرين. وكان شجاعاً ذكيّاً خبيراً بالأمور حازماً مهاباً. فإن تَيْمُورلَنْك لم يقدر على التقدم على مصر في سلطنته لما بلغه عنه من الحزم والعزم والشدة والقوة. ولما بلغه موت بَرْقُوق أعطى من بشَّره مبلغاً من المال كثيراً، وحصل معه الطمع في أخذ مصر فدفع اللَّه عنها كما سيأتي بيان

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٣/ ١٠؛ بدائع الزهور: ١/ ٢٥٨؛ الأعلام: ٢/ ٤٨.

ذلك في ترجمته إن شاء اللَّه تعالى. وكان (بَرْقُوق) أول من أخذ البذل على الولايات حتى وظيفة القضاء وسائر الوظائف الدينية، وهو أول ملوك الجراكسة في مصر.

(١٠٧)

(أبو بَكْر بن أحمد بن مُحمَّد بن عُمر ابن ذوبين شَرَف المعروف بابن قاضي شهبة الدِّمشقي الشافعي)[١]

ولد سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة، وأخذ العلم عن جماعة كالسراج البلقيني وطبقته. وله مصنفات منها: الذيل على تاريخ ابن حَجَر، وطبقات الشافعية، وشرح المنهاج إلى الخلع في أربعة مجلدات، وشرح التنبيه. وله التاريخ الكبير، من سنة ٢٠٠ إلى سنة ٧٩٢. وله ذيل على تاريخ الذهبي في ثمانية مجلدات (ومات) عاشر ذي القعدة سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة.

(١٠٨)

(أبو بَكْر بن عليّ بن عبد اللَّه التقيّ الحموي الأزراري المعروف بابن حجَّة)[٢]

قال السخاوي: بكسر الحاء المهملة. (ولد) تقريباً سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة بحماة، ونشأ بها وأخذ فنوناً من العلم ومعاني الأدب، وارتحل إلى الشام ومصر. ومدح الأكابر ثم عاد إلى بلاده، ودخل القاهرة في الأيام المؤيدية فعظم أمره وتولَّى كتابة الإنشاء. ثم توقّف أمره فعاد إلى بلاده فأقام بها ملازماً للعلم والأدب إلى أن مات. وله يد طولى في النظم والنثر مع زهو وإعجاب. وقد يأتي في نظمه بما هو حسن وبما هو في غاية الركة والتكلف، ومع ذلك فيفضله على ما هو من أشعار غيره في السماء وهو في الأرض كما يفعل ذلك في شرح بديعيته المشهورة بأيدي الناس، وهو من أحسن تصانيفه. ومنها (بلوغ المرام من سيرة ابن هشام والروض الأنف والأعلام) و(أمان الخائفين من أمة سيد المرسلين) و(بلوغ المراد من الحيوان والنبات

---

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ١١/ ٢١؛ شذرات الذهب: ٧/ ٢٦٩؛ كشف الظنون: ١٢٧، ١١٠١؛ إيضاح المكنون: ١/ ٣٠٢؛ الأعلام: ٢/ ٦١؛ معجم المؤلفين: ٣/ ٥٧؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/ ٢٠٤.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع: ١١/ ٥٣؛ كشف الظون: ٢٥٤، ٦٠٧؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٧٧، ٢/ ٣٩٧؛ معجم المؤلفين: ٣/ ٦٨؛ الأعلام: ٢/ ٦٧؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/ ١٣١؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٨٣٩.